المناسبات في القرآن الكريم

سارة عبد الرحيم محمد عبد الرحيم (*)

المبحث الأول: نبذة تعريفية حول علم المناسبات

(أ)- المناسبات لغة واصطلاحًا :

المناسبات لغةً : المناسبة في اللغة المشاكلة، والنسب واحد الأنساب، وفلان يُناسِب فلان فهو نَسِبُهُ أي قريبه وبينهما مناسبة أي مشاكلة، ويقال ناسب الأمر أو الشئ فلاناً لاءَمَه ووافق مزاجهُ، والتناسب: التشابه، والنَسَبة: الصلة أو القرابة (١).

المناسبات اصطلاحًا : عرفه ابن العربي(٢) بقوله: "ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَله، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة ؛ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"(٣).

وعرفها الزركشي بقوله:" (٤) المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول "(٥) .

(*) هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [المناسبات وأثرها في تفسير روح المعاني لأبي بكر الألوسي من أول سورة البقرة وحتى آخر سورة النساء]، تحت إشراف: أ.د. إسماعيل فهمي عبد اللاه – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. عبد الله محمد يوسف – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) انظر : القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت٨١٧هـ، مادة (نسب)،باب الباء فصل النون،١٣٧/١، ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن القادر الرازي، باب النون،ص٢٧٣، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب النون،ص٩١٦.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن أبو بكر العربي المعافري الأندلسي، ولد ٤٦٨ هـ، كان من مؤلفاته، التفسير وأحكام القرآن، وشرح الموطأ، ت٥٤٣هـ، ينظر طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد علي عمر، دار النوادر الكويتية، طبعة خاصة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص١٠٥ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي، ص٦٣٠

(٤) هو : محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين، ولد ٧٤٥هـ، ألف تصانيف كثيرة في فنون عدة مثل المنهاج والديباج، ت٧٩٤هـ، ينظر طبقات المفسرين للداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ٢/ ١٦٢- ١٦٣

(٥) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، د. ت، ط، ٣٥/١ .

ويقول البقاعي[١] :"علم المناسبات علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب، و ثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، وفي اصطلاح المفسرين: هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه بعضها إثر بعض، وهو سر من أسرار البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"[٢] .

كما عرفها السيوطي بقوله:" هو معرفة مجموع الاصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض، وفي الاصطلاح العام المناسبة هي علة الترتيب، وعند علماء القرآن العظيم :هي علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض "[٣] .

ومما سبق يمكن القول إن علم المناسبات علم يعني بالبحث في أسرار ترابط الآيات والسور، بداية من مقاصدها وأغراضها، وصولاً إلي التحام معانيها، وانتظام مبانيها، حتى تكون في اتساق معانيها كالكلمة الواحدة .

المطلب الأول: أهمية علم المناسبات

١- تكمن أهمية هذا العلم في إبراز جانب من أسرار القرآن العظيم وصور إعجازه، ومن تأمل سورة البقرة وجد لطائف نظم هذه السورة في بدائع ترتيبها. علم أن القرآن كما أنه معجز حسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه فهو أيضا معجز بترتيبه ونظم آياته، فبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللُب كما قال البقاعي[٤]

٢- أن في هذا العلم آية من آيات صدق المصطفى" عليه الصلاة والسلام" وأن هذا الكتاب من لدن لطيف حكيم، إذ أن المعلوم أن القرآن كان ينزل منجما مفرقا على مدى ثلاثة وعشرين سنه وقد تلقى الصحابة عن الرسول ترتيب آيات القرآن وسوره، ومعلوم أن هذا الترتيب الحاصل بين سور القرآن

---

(١) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبى بكر برهان الدين، نزيل القاهرة ثم دمشق، صاحب المناسبات، توفي سنة (٨٨٥هـ). ينظر طبقات المفسرين، أحمد الادنروي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ، ص٣٤٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي، د. ت، ط، ١/ ٥ .

(٣)علم المناسبات في السور والآيات، ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: حققه، محمد بن عمر بن سالم بازمول، الناشر المكتبة المكية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص٢٧.

(٤) انظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، محمد بن عمر بن سالم بن بازمول، ص٣٨ .

وآياته ليس بمقدور بشر مهما كان عقله ومهما بلغت فصاحته وبيانه، فكان ذلك آية على ثبوت نبوة النبي

٣- أن في إظهار المناسبات في السور والآيات ما يساعد على فهم النص القرآني ويبين معناه. وقد ذكر الزركشي:" أن المناسبة علم شريف تُحرز به العقول ويُعرف به قدر القائل فيما يقول وفائدته... جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناقِ بعض فيقوى ذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء(١).

٤- قال البقاعي:" علم المناسبات علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه الى تحقيق مطابقة المعاني لمن اقتضاه الحال وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها"(٢) .

٥- أن طلب المناسبات إعانة على الحفظ وامتثال لأمر الله (٣)

٦- أن طلب المناسبات فيه تحصيل الأجر والثواب، إذ تحصل فيه قراءة القرآن فيحصل أجر قراءة القرآن(٤).

٧- من أهمية المناسبات دفع ما يتوهم أنه تكرار في القرآن: تحدث كثير من المفسرين والبلاغين عن التكرار في القرآن، وذكروا أن القرآن خال من التكرار، وأن ما به مما يوهم وجود التكرار، فإنما هو تشابه، وقد تحدث البقاعي عن أهمية التناسب في دفع توهم التكرار بقوله :"وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، أن كل سورة أُعيدت فيها قصة، فلمعنى أُدعِي في تلك السورة، أستدل عليه بتلك القصة غير بمعنى الذي سِيقت له في السورة السابقة (٥)

٨- يساعد علم المناسبة في ملاحظة أقتباس النبي وصحابته من القرآن ونظمه : توجد أحاديث كثيرة وُجِد فيها تناص ومناسبة مع كثير من آيات القرآن الكريم يقول الدكتور محمد عناية الله سبحانه :" فإذا تأمل الباحث نظام الآيات وترابط معانيها ثم وصل إلى ما يجد له تأييداً في كلام النبوة وأثارها أزداد بذلك ثقة وأرتياحا إلى ما فتح الله عليه من خزائن حكمته، كما أزداد أنشراحا وأقتناعا

(١)نفس المرجع ، ص ٣٩.
(٢)نفس المرجع ، ص ٣٩.
(٣)مراصد المطالع، ص ٣٩
(٤)نفس المرجع، ص ٤٠
(٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار النشر، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤، ص١٤.

بصحة ذلك الحديث الذي وجد له أصلاً في تنفيذه، ومن أمثلة ذلك ما جاء عن النبي صلي الله عليه مسلم قال: " يا معشر الشباب من أستطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُ للبصر وأحصنُ للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاءٌ"(١).

المطلب الثاني: نشأة علم المناسبات ومراحله

ذكر الإمام السيوطي " أن أول من أظهر علم المناسبات هو أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه لم جعلت هذه الآية جنب هذه؟ وما الحكم في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة ؟"(٢) .

وكان أبو بكر النيسابوري يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة، والحال في هذه المرحلة التي لم تظهر فيها كتب جامعه في المناسبات سور شذرات متفرقه هنا وهناك"، كما قال الرازي :" إنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور"(٣).

وكذلك هناك من المفسرين من أوردوا المناسبات في تفاسيرهم مثل الفخر الرازي في "مفاتيح الغيب" وأبي السعود في إرشاد العقل السليم "، والزركشي في " البرهان في علوم القرآن"، وكذلك السيوطي في "الإتقان في علوم القرآن"، وقد أفرده بالتنصيف في كتاب أسماه" تناسق الدرر في تناسب السور"

فهذا العلم كان معمولاً به، وكان موجوداً عند السلف فتجد إشارات عن هذا الفن بل ظهرت بداية علم المناسبات والإشارة إليه تتلمس في أحاديث الرسول، بل أن أعرابي بسليقته وفطرته يستشعر المناسبات في الكتاب العظيم"(٤)

فالكلام عن المناسبات في البداية كان موجوداً بصورة متناثرة في ثنايا الحديث والتفسير عموما ولكنه لم يأخذ بعد في تلك المرحلة هيئه جامعة واضحة

---

(١) أخرجه الإمام البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، في الجامع الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، طبعة ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، ٦٧٣/٢ ، برقم (١٨٠٦) . (٥) انظر :المناسبة في القرآن الكريم، محمود حسن عمر، رسالة ماجستير غير منشورة، ص٢٨.

(٢) انظر: الإتقان فى علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ص٦٣٠ -٦٣١.

(٣)المصدر نفسه، ص ٦٣٠-٦٣١.

(٤) انظر، علم المناسبات فى السور والآيات ، جلال الدين السيوطي، تحقيق :محمد بن عمر بن سالم بازمول، ص٢٢

المعالم وفى مرحلة تاليه نجد الكلام عن المناسبات أخذ صورة واضحة المعالم، ولكن لم يدون تدويناً جامعاً مستقلاً، وهذه المرحلة تظهر في كلام بعض العلماء(١). وبعد هذه المرحلة أخذ هذا العلم صورة مستقله جامعه وظهرت كتب التفسير تعتنى بإبراز المناسبات في جميع سور القرآن العظيم(٢).

وفي هذه الرحلة مع تاريخ علم المناسبة، نذكر أيضا أن الإمام أبا السعود قد اعتني بهذا العلم في تفسيره الموسوم بـ"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" وكذلك الحال مع شهاب الدين الآلوسي في تفسيره المشهور بـ"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " ومن هؤلاء جميعاً إلى العصر الحديث مع الإمام أبي الفضل الصديق الغماري الحسني في كتابه "جواهر البيان في تناسب سور القرآن(٣).

المطلب الثالث: موقف العلماء من التناسب في القرآن

انقسم موقف العلماء من التناسب فى القرآن الى قسمين، قسم يؤيد وجود التناسب بين الآيات والسور و آخر ينكر وجود التناسب، وسوف نوضح موقف كلاً منهما. أولًا : من المؤيدين لوجود التناسب بين الآيات والسور:

تعد مناسبة الآيات والسور، وارتباط مبانيها، من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وهو علم لم يكتب له الظهور إلا في أوائل القرن الرابع الهجري، وفيما يأتي أذكر بعض العلماء الذين أيدوا علم المناسبات، ونبهوا إلى أهمية هذا العلم وبينوا قدره، ومنهم:

١- يعد أبو بكر النيسابوري (ت٣٢٤هـ) أول من سبق إلى هذا العلم ، وكان متفقها في الشريعة والبلاغة، وكان يقول :" لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة ملاصقة للأخرى؟ وكان يلقي باللائمة على علماء بغداد لإهمالهم علم المناسبات"(٤).

٢- الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ): حيث يقول منوهًا إلى أهمية علم المناسبات في معرض تفسيره لسورة البقرة : "من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه

(١) علم المناسبات في السور والآيات : محمد بن عمر بن بازمول ، ص ٢٢-٢٣ .
(٢)المصدر نفسه ، ص ٢٤
(٣) انظر: علم المناسبات في السور والآيات لجلال الدين السيوطي،ص٢٨-٢٩. والتناسب القرآني عند البقاعي، دراسة بلاغية، إعداد مشهور موسي مشهور ، إشراف، محمد بركات أبو علي، رسالة دكتوراه، ٢٠٠١، ص٥٤.
(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٦٢/١

وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا أنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك الا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور"[١].

٣- أبو بكر بن العربي : حيث يقول فيما نقله عنه الزركشي : "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ، فلما لم نجد له حمَلَة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطَلَة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[٢].

٤- الزركشي (٧٩٤هـ) حيث قال متحدثًا عن فن المناسبة: "وهو جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ... وذكر أن من محاسن الكلام ان يرتبط بعضه ببعض وهذا النوع يهمله بعض المفسرين، وكذلك نجده يرد علي من أنكر علم المناسبة :" قال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب للآية لكريمة مناسبة، لأنها علي حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب إنها علي حسب الوقائع تنزيلا وعلي حسب الحكمة ترتيبًا، فالمصحف كالصحف الكريمة علي وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف[٣].

٥- البقاعي (ت٨٨٥هـ) من المكثرين من علم المناسبة في تفسيره "نظم الدرر"، حيث نجده يبرز أهمية علم المناسبات في القرآن الكريم قائلاً : "... ثم إذا عبر الفطن من ذلك الي تأمل ربط كل جملة بما تليها خفي عليه وجه ذلك ورأي أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط ربما شككه ذلك وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه ... فإذا استعان بالله وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز والوقف بأنه في الدرة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعني...فانفتح له ذلك الباب ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار... ورأي أن المقصود من الترتيب معان جليلة" [٤]

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار النشر، دار الفكر ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م، ٧/ ١٣٩.
(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٦٢/١
(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ٣٦/١-٣٨.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، د.ت، ١١/١-١٢.

المنكرون لوجود التناسب:

ورد عن بعض العلماء معارضه لهذا الفن بزعم أنه تكلف محض، وكان من أبرزهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام، والإمام محمد الشوكاني، ومن عجيب ما قاله سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام أن ربط آيات القرآن على ترتيب نزولها تكلف لا يليق إذ يشترط أن يقع الكلام في أمر متحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في نيف وعشرين سنه، فى أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان ذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، وقد رد الشيخ ولي الدين الملوي عن هذا الزعم بقوله :" قد وهم من قال لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب إنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً[١]. فسلطان العلماء لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد وما عدا ذلك فهو يراه متكلفا.

أما الإمام الشوكاني[٢] فيرى أن الكلام في المناسبات لا فائدة من ورائه، وأنه من قبيل الرأي المذموم، حيث يقول: "اعلم أن كثيرًا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم في محض الرأي المنهى عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله وذلك إنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصحف، فجاؤوا بتكلفات متعسفه يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلا عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف"[٣].

إن ما ذمه الشوكاني من التكلف في هذا العلم فلا شك أنه ذم في محله؛ إذ إن التكلف أمر غير مقبول عموماً، أما قوله بأن فن المناسبة كلام بمحض الرأي

(١) تناسق الدرر، ص ١٢

(٢) محمد بن على بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من اهل صنعاء ولد بهجرة شوكان باليمن سنة ١١٧٣هـ، وتوفي سنة١٢٥٠هـ، ينظر : الاعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ٢٩٨/٦

(٣) فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية لعلم التفسير: محمد بن على بن محمد الشوكاني، ت(١٢٥٠هـ)، تحقيق: د/عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه :لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، د.ت، ٥٢/١ .

المنهي عنه، وأنه فن لا يعود بفائدة، ربما كان مبعثه أن يكون الرأي بمحض الهوى والتكلف، ومن يقرأ كتابه (البدر الطالع) يري رأيه مخالفًا لهذا النقد اللاذع، ففي تعريفه للإمام البقاعي نجده من المؤيدين له بل ويثني عليه وعلى كتابه "نظم الدرر"، حيث قال: "ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، وكثيراً ما يشكل عليَ شئ في الكتاب العزيز فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي أرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب"[١].

كما أن الإمام الشوكاني قد أشار في تفسيره إلى التناسب مما يدل دلالة واضحة أن التناسب له ارتباط وثيق بالتفسير، ولا يمكن للمفسر إغفاله وإن ذمه[٢]

ومن خلال استعراض رأي الفريقين يتبين أن القول الأول – وهو القول بالتناسب بين الآيات والسور – هو القول الراجح؛ لكون التناسب قائمًا بين الآيات والسور، وقد قال به كثير من المفسرين واهتموا بهذا العلم في تفاسيرهم، وأقره جمع كثير من العلماء، كما أنه يبرز وجها مهما من وجوه إعجاز القرآن. وبإمعان النظر في كلام من يعارضون البحث في مناسبات القرآن؛ نجد أن الإمام العز بن عبد السلام يُقر بالمناسبات إلا إنه يمنع التكلف في طلبها. أما الإمام الشوكاني فيعتبر طلب المناسبة تعديا على القرآن الكريم؛ وذلك أنه وجد البعض يتكلف المناسبة، فخشي من خروج المفسرين إلى أغراض ثانوية على حساب الغرض الأساس في التفسير، فشن تلك الهجمة عليهم، ولكنه لما شرع في تفسيره – فتح القدير – لم يغفل المناسبة فكان الممنوع في طلب المناسبة هو التكلف في طلبها إذا لم تكن ظاهرة، وتحميل القرآن مالم يحتمل، أما إذا كانت متبادرة إلى الذهن فلا مانع من بيانها.

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ، ٢٠/١.

(٢) ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالي (وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ...) الآية. [البقرة/ ٢٥] : " لما ذكر تعالى جزاء الكافرين؛ عقّبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز؛ لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه" فتح القدير ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م، ٣٨/١.

المبحث الثاني: كيفية معرفة المناسبات

ترجع المناسبات بين الآيات والسور إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أوالتلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه(١).

وذلك أن ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط؛ لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى، فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، وهذا القسم لا كلام فيه. وإما ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشركة في الحكم أو لا، فإن كانت معطوفة لابد أن تكون بينهما جهة جامعة، على ما سبق تقسيمه،... وإن لم تكن معطوفة : فلا بد من دعامة تؤذن بإتصال الكلام؛ وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط (٢).

المطلب الأول: أسباب علم المناسبات

أحدها : التنظير: فإن الحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء كقوله تعالي:

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ ﴾ (٣)، عقب قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ٤ ﴾ (٤) ، فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم

على كُره من أصحابه، كما مضي لأمره في خروجه من بيته لطلب العِير أو القتال وهم له كارهون. والقصد: أن كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج.

(١) انظر :الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص٦٣١ .
(٢)المصدر نفسه، ص ٦٣١.
(٣) سورة الأنفال، الآية (٥).
(٤) الأنفال، الآية (٤).

الثاني: المضادة كقوله تعالى في سورة البقرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾ [1]..."فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقَب بحديث الكافرين ؛فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول.

الثالث: الاستطراد كقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [2]، وقد ذكر السيوطي فيما نقله عن الزمخشري:" أن هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، و إشعاراً أن الستر باب عظيم من أبواب التقوى"[3].

الرابع: حسنُ التخلُص وهو أن ينتقل مما أبتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه إختلاساً، دقيق المعنى؛ بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني، لشدة الإلتئام بينهما"[4]

وقد ذكر بعض المتأخرين أن الأمر الكلي المفيد لعرفان المناسبات بين الآيات في جميع القرآن هو أن تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب أو البعد من المطلوب، وتنظر إلى انجرار الكلام في المقدمات ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له[5].

وبهذا يتبين أن علم المناسبات بين الآيات والسور في القرآن العظيم ، علم له قواعد وأصول وضوابط منهجية ينطلق منها المتحدثون فيه.

---

(١)سورة البقرة ، الآية (٦).
(٢)سورة الأعراف الآية (٢٦).
(٣) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص، ٦٣٢.
(٤) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص، ٦٣٢.
(٥)المصدر نفسه، ص ٦٣٣.

المطلب الثاني:أنواع علم المناسبات

وردت عدة تقسيمات لأنواع المناسبات في كتب المهتمين بهذا العلم، واختلفت تلك التقسيمات من حيث عددها ومسمياتها، ومن خلال التأمل والتتبع، يمكن القول إن المناسبات تنقسم إلى قسمين رئيسين، ولكل قسم صور تندرج تحته، وذلك على النحو الآتي :

القسم الأول :التناسب بين الآيات في السورة الواحدة، وله أربع صور :

١- التناسب بين الآيات والفواصل التي ختمت بها.
٢- تناسب ترتيب الآيات السورة الواحدة .
٣- تناسب مطلع السورة مع مقاصدها .
٤- تناسب مطلع السورة مع خاتمتها [١]

القسم الثاني : التناسب بين السور، وله ثلاث صور :-

١- تناسب بين السورتين في موضوعهما.
٢- تناسب بين فاتحة السورة والتي قبلها.
٣- مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها.[٢].

الخاتمة

ومن خلال ما سبق نجد أن علم المناسبات علم بالغ الأهمية إذ قال به كثير من المفسرين واهتموا بهذا العلم في تفاسيرهم، وأقره جمع كثير من العلماء، كما أنه يبرز وجهاً مهماً من وجوه إعجاز القرآن.

(١) انظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين السيوطي، ١/٧١-٧٣.
(٢) انظر: علم المناسبات في السور والآيات : محمد بن عمر بن سالم بن بازمول، ص٢٨ – ٢٩. ومصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، د/ عادل بن محمد أبي العلاء، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٢٩، د.ت، ص ٥٥.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، تحقيق ، شعيب الارنؤوط ،علق عليه ، مصطفي شيخ مصطفي ، مؤسسة الرسالة ناشرون ،الطبعة الاولي ، ١٤٢٩ هـ ،٢٠٠٨.

٢- الأعلام ، تأليف: خير الدين الزركلي ، دار العلم للملاين ، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

٣- الأعلام، للزركلي ، دار العلم للملاين ، بيروت، ط ٢٠٠٢م.

٤- البحر المحيط ، في التفسير، تأليف، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، الناشر ، دار الفكر ، بيروت، الطبعة، ١٤٢٠هـ.

٥- البرهان في تناسب سور القرآن : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، دار ابن الجوزي ، ط١، ١٤٢٨هـ.

٦- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي، دار النشر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٧- تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسور: محمد بن عمر بن سالم بازمول، كلية الدعوة وأصول الدين ، د.ت

٨- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب، للإمام، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٩- التفسير الكبير ، للفخر الرازي، دار النشر، دار الفكر، الطبعة الأولي، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٠- تناسق الدرر في تناسب السور ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١١- علم المناسبات في السور والآيات ، ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: جلال الدين السيوطي ، الناشر المكتبة المكية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٢- قطف الأزهار في كشف الأسرار، لجلال الدين السيوطي، إصدار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي ، الطبعة والتاريخ، (بدون).